مجلة جامعة أم القرى
للعلوم الاجتماعية

جامعة أم القرى
UMM AL-QURA UNIVERSITY

تحولات الدراسات الشعبية المملوكية في مصر وملامحها

Transformation and Figures of Mamluk Folklore Studies in Egypt

[1] د. عمرو عبد العزيز منير

١) أستاذ مشارك التاريخ والحضارة الإسلامية – كلية الشريعة والدارسات الإسلامية – جامعة أم القرى

[1]Dr. Amro Abdu AL Eziz Munir

1) Co-professor, Islamic History And Civilization, Umm - Al Qura University

الاستقبال ٢٠٢١/١١/٢٣ م القبول ٢٠٢٢/٠٥/١١م

Recived 23/11/2021 Accepted 11/05/2022

الملخص

تهدف هذه الورقة البحثية إلى رصد التطور الذي صاحب الدراسات المملوكية، وذلك من تسليط الضوء على الدراسات « الشعبية» التي صاحبت مسار التطور عصر المماليك ، فكان ذلك إيذانًا بانطلاقة متجددة، أسهمت في إبراز جوانب الغموض التي تتعلق بتاريخ المماليك، بدراسة الموروث الشعبي، الذي يحوي بين جنباته الكثير من ممارسات وأفكار وعلاقات، وردة أفعال من تلك الطبقات إزاء السلطة، ومن ثَمَّ حفل التاريخ الشعبي برؤى متعددة، لازالت تقدم كل ما هو جديد في حقل الدراسات التاريخية، وفى سبيل هذا التقديم، سوف يشتمل البحث على عدة محاور أساسية، أولها: تتبع المسار الكلاسيكي عن العصر المملوكي، بدءًا من القرن التاسع عشر، وصولاً إلى بروز المجال الأكاديمي في مجال الدراسات المملوكية بوجه عام. يعقبها الوقوف على محطات أدبية بعينها، انصبت على الدراسات الأدبية (الشعبية) المتعلقة بالمماليك، التي قد تمت إلى جيل الرواد، الذين تخرجوا في قسم اللغة العربية، لقد كانت هذه الدراسات بواكير الدراسات التي عنت بالناحية الأدبية، والتي فتحت الطريق أمام الباحثين في حقل الدراسات التاريخية للانغماس بالموروث الشعبي باعتباره أنسب الوسائل تعبيرًا عن ذهنية الناس، وملامسة أفكارهم عن التاريخ الرسمي، وأخيرًا الظروف السياسية القابعة خلف المشهد.

الكلمات المفتاحية: الدراسات المملوكية– الشعبية– جيل الرواد– التاريخ الرسمي – الذهنيات

Abstract:

This research paper is aimed to monitor the development of Mamluk Studies, and highlighting the folklore of that era, which, in turn, is signified by a new fresh start, for deciphering the history of Mamluk via studying and analyzing the domestic folklore rich in its concepts, behavior, relations and rebellion against the authority, in addition to, presenting various visions about the issue regarding the ever increasing fresh studies done in this field.

In this regard, this paper is aimed to include many central points:

First, tracking the Mamluk classic path from the 19th century to the Academic studies, achieved about Mamluk, as a whole.

Paying much attention, to certain literary points in regard with folklore in the era of Mamluk by the pioneers' generation, graduated in Arabic Department, which made it easier for other researchers, to indulge in the field the historical studies, being more credible compared with the official history, and the political circumstances, behind the scene.

KeyWords: Mamluk Studies- folklore- pioneer generation- official history. History of minds

معلومات التواصل :

جامعة أم القرى، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية الشريعة والدارسات الإسلامية، مكة المكرمة

البريد الإلكتروني:(**aawahba@uqu.edu.sa**) عمرو عبد العزيز منير

مقدمة

ظهرت في الآونة الأخيرة عدة دراسات حول الدراسات المملوكية، وتطورها، نستهلها بدراسة أحمد رشدي صالح عن تطور الفلكلور العربي فى مصر، بصفة عامة[1]، وقد ركز فيها على تطور الفلكلور، ومحطاته المختلفة، خاصة فيما يتعلق بالمأثورات، والفنون الشعبية، على حد قوله. وبالتزامن مع هذه الدراسة، جاءت دراسة قاسم عبده قاسم عن تطور الأسطورة في التاريخ[2]، وفيها تناول علاقة الأسطورة بالتاريخ، وأساطير المنطقة العربية، وقدم ما أسماه بالقراءة الأسطورية للتاريخ. وعلى الصعيد الآخر، سلط خُريسات الضوء على الرواية الشفهية[3]، ولقد غلب عليها الطابع اللغوي البحت، وتتبع الدلالة اللغوية لمفهوم «الشفهي». ومؤخرًا، ظهرت دراسات مثل: الأدب الشعبي في مصر[4]، سلط فيها خالد أبو الليل الضوء على مسار الأدب الشعبي، وعلى جيل الرواد في قسم اللغة العربية، تحديدًا، وقد تحدث باستفاضة عن أنماط الأدب الشعبي، واتسمت دراسة محمد رجب النجار التراث القصصي في الأدب العربي مقاربات سوسيوسردية[5] بالطابع الموسوعي الذي أراد فيه الباحث أن يتعرض لأشكال وأنواع عدة من القصص العربي والمملوكي ، وقاده تصوره للتاريخ إلى جعل النصوص السردية تابعة للعامل التاريخي فأصبحت بذلك تعالج الأدب في التاريخ وليس التاريخ في الأدب[6]. وأخيرًا، تطرق عمار النهار[7] إلى أهم النظريات المتعلقة بالدراسات المملوكية البحرية، من الناحية الفقهية وعلوم اللغة العربية، وغيرها.

ولعل الدراسات السابقة بينت أن موضوع تحولات الدراسات الشعبية المملوكية في مصر وتطورها بحاجة إلى رصد ودراسة منهجية تحاول الإفادة من بعض تلك الدراسات الرائدة في سبيل النهوض بتأريخ لحقل الدراسات الشعبية المملوكية في مصر بتشكلاتها المتنوعة استنادًا إلى المنهج التاريخي التعاقبي للكشف عن تشكلات الدراسات الشعبية المملوكية وتحولاتها بين القديم والحديث ، والأنساق الثقافية التي صدرت عنها، ومن ثم، فإن هذه الورقة هي مزيج يتناول بين طياته هذه المعطيات المختلفة، المشكلة لطبيعة الدراسات الشعبية المملوكية في مصر، وتعقب ملامحها، ومسار تطورها عبر فترات زمنية كبيرة نسبية، وهذا التباعد الزمنى له دلالته الواضحة في إيضاح هذا المسار بشكل يتسم بالتنوع، والثراء، معا. فما هى هذه المسارات؟ وما هي الملامح المشكلة لها؟ وكيف تطورت الدراسات المملوكية عبر محطات زمنية متباعدة ومتباينة؟ وهل ارتبط ذلك بالمعطيات السياسية، أم أن ذلك كان بمنأى عنها؟

البدايات الأولى

توقف علماء الحملة الفرنسية كثيرًا في ثنايا أجزاء متعددة من موسوعة وصف مصر عند تراث المماليك، وأشكال المأثورات الشعبية[8]، وخصص المستشرق الإنجليزي (إدوارد وليم لين) ثلاثة فصول بعنوان «رواية القصص العامة»، وإن اقتصرت على سرد سيرة الظاهر بيبرس[9]، واهتم (هانز ألكسندر فينكلر-Hans Al-exander Winkler)[10] بدراسة الأختام والأشكال في السحر الإسلامي في العصر المملوكي[11]، ما يعكس التوجه الاستشراقي نحو جمع عناصر الثقافة المصرية ودراستها[12]، وهذا بدوره يطرح إشكالية الفارق بين التلقي العربي والغربي للتراث الشعبي المملوكي[13]، التي نحن بصدد تناولها.

كان اختلال الزمن الذي استشعر به «الجبرتي[14]» مع إنزال نابليون في مصر، شعورًا بـ» نهاية التاريخ»، وإن كانت

1 أحمد رشدي صالح: تطور الفلكلور العربي في مصر، مجلة الطليعة، مؤسسة الأهرام، 1967.

2 قاسم عبده قاسم: القراءة الاسطورية للتاريخ، مجلة الثقافة الشعبية، جامعة المنصورة، 1998.

3 محمد عبد القادر خريسات: الرواية الشفهية فى الكتابة التاريخية، مركز عيسى الثقافي، مركز الوثائق التاريخية، 1999.

4 خالد أبو الليل: الأدب الشعبي في مصر، دراساته ومؤسساته في الفترة من(2011-1952م)، مجلة الثقافة الشعبية.

5 محمد رجب النجار : التراث القصصي في الأدب العربي مقاربات سوسيوسردية ، ط 1 ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت 1995م .

6 ضياء الكعبي : السرد العربي القديم الأنساق الثقافية وإشكالية التأويل ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 2005، ص 15 .

7 عمار محمد : الدراسات النظرية الجديدة فى عصر دولة المماليك البحرية 784-648هـ/1250-1382م، مجلة الدارسات التاريخية، جامعة دمشق، 2013.

8 مما يدل على كثرة ازدياد الاهتمام الفرنسي بمصر في القرون 16 ، 17 ، 18 ، صدور كتابين مهمين يبرزان هذا الدور للمستشرقين الفرنسيين ، هما : جان مار كارو : الرحالة والكتاب الفرنسيون في مصر من بداية الحكم التركي (1517م) حتى افتتاح قناة السويس (1869م) ؛ شيتنبرجيه : الكُتاب الفرنسيون في مصر المعاصرة من 1870م إلى الآن . خالد أبو الليل: المستشرقون ودراسة المأثورات العربية في القرن التاسع عشر ، مجلة الفنون الشعبية ، الهيئة المصرية ، ع90 ، 2012م ، ص86؛ خالد أبو الليل : النخبة والعامة ، ص 46.

9 المرجع السابق، ص87.

10 هانس ألكسندر فينكلر ، مستكشف ألماني، وهو تلميذ ليتمان ، ولد في 14 فبراير عام 1890م ، ذهب إلى مصر كرحالة ومستكشف وعمل مع العالم الإنجليزي السير روبرت روبن، له اهتمام بالفولكلور المصري، ومن كتاباته الرموز والطلاسم السحرية عند المسلمين ترجمة: محمد كيبيو، ودراسة بعنوان « الأختام والأشكال في السحر الإسلامي/ 1930م» والصادر في شتوتجارت ، وسليمان والقرينة (سم الصبيان) 1930م بشتوتجارت، وكتابه الأكثر أهمية « الفولكلور المصري» 1936م. انظر: دراسة محمد الجوهري في تقديمه ومراجعته لقاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1999م ، ص 13 – 16 ؛ خالد أبو الليل: النخبة ، ص 60.

11 خالد أبو الليل: النخبة والعامة الموقف من الأدب الشعبي في العصر الحديث، هيئة الكتاب ، القاهرة 2020م، ص60 .

12 المرجع السابق، ص 61 .

13 سهير القلماوي : ألف ليلة وليلة ، دار المعارف، القاهرة 1959م ، ص 5 ـ13 ؛ عبد الحميد يونس : الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي ، ص 191 – 192؛ ضياء الكعبي : جدلية الشعبي والنخبوي في الثقافة العربية ، مجلة الثقافة الشعبية ، البحرين ، السنة السادسة ، ع 23 ، البحرين 2013م، ص 27 ؛ خالد أبو الليل: المستشرقون، ص 89؛ النخبة والعامة ، ص 79 .

14 عبد الرحمن الجبرتي ، أحد كبار المؤرخين في التاريخ العربي والإسلامي، عاصر الحملة الفرنسية على مصر، ودَوَّن وقائعها في كتابه الشهير «عجائب الآثار في التراجم والأخبار»، والذي يعد أحد أهم المراجع التاريخية لتلك الفترة. رأفت الشيخ : مناهج بعض المؤرخين المسلمين : ابن خلدون – أحمد بن ماجد – عبد الرحمن الجبرتي (المؤتمر العلمي الدولي الثاني ، جامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية بالزقازيق) ، 2010م ، ص2459.

تعبيرًا عن مرحلة البحث عن البدائل في ظل الممكن أو في تغيير الواقع[15]، وعلى رغم احتفاء عدد من الباحثين بالجبرتي باعتباره بادئًا لتدوين التاريخ في العصر الحديث في كتابيه «عجائب الآثار»[16] و«مظهر التقديس»[17]، فإن ما كتبه يعد من جوانب عديدة استمرارًا، بعد انقطاع، لكتابات المؤرخ (ابن إياس)، ومن سبقه من مؤرخي عصر المماليك.

ورغم معاصرة الجبرتي لاثنين سجلا حوادث الفترة نفسها، بمنظور مختلف وباهت لتراث الفكر التاريخي العربي، هما: نقولا بن يوسف الترك اللبناني[18]، والشيخ عبد الله الشرقاوي[19]. فلم تضف كتاباتهم الكثير في مجال الدراسات التاريخية العربية.

ومع بزوغ فجر القرن التاسع عشر، نجح رفاعة الطهطاوي[20] وتلاميذه من خلال ترجماته للمؤلفات الأوروبية – ومنها كتاب في «العوائد»[21]حول المأثورات الشعبية —في خلق نوعٍ من التلاقح الثقافي، وشهادة بقبول الطهطاوي لأشكال المأثور الشعبي[22] العربي والغربي في بناء نهضة اجتماعية وفكرية وأدبية، على عكس ما كان سائدًا في العصر السابق عليه أو عصره أو عند كثيرين من التاليين عليه[23]. ويأتي الشيخ محمد عياد الطنطاوي[24]، لينشر بحثًا في تاريخ كلام العامة، أعقبها جهود أحمد تيمور باشا، في حقل أصول مفردات العامة، وكتابه عن خيال الظل، وتتبع تطوره في العصر المملوكي، لتكلل جهودهم بإثارة الوعي المعرفي بالتاريخ المملوكي وأهمية الأدب العامي . وننتقل من المفهوم التقليدي للتاريخ في التراث العربي الإسلامي، إلى نمط جديد من الحقول المعرفية المتعلقة بأدب الشعب وتاريخه، تتخذ الثقافة الأوروبية مرجعية لها، في تقسيم العصور التاريخية، ومنهج البحث، وفلسفة التاريخ[25].

ورغم أن علي مبارك (1824-1893) لم يستطع أن يتخلص من إرث التراث التاريخي العربي، فجاء كتابه «الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة» على غرار خطط المقريزي الشهيرة في العصر المملوكي ، واتسم موقفه بالحيادية من السير والقصص الشعبية العربية والمملوكية التي شاعت وانتشرت في مجتمعه واستفاد من تقنيات الحكي الشعبي في بناء عمله الأدبي روايته «علم الدين»[26]. في حين اتسم موقف محمد عبده «1850_ 1905م» من رواية القصص الشعبي بالتصادم، وتبنى مهاجمة المأثورات الشعبية باعتبارها مفسدة للمجتمع[27]، عكس ذلك وصفه السير الشعبية الرائجة في عصره كالظاهر بيبرس، وأبو زيد، وعنترة عبس، وإبراهيم بن حسن، وغيرها بالأكاذيب[28] الصرفة، التي يذكر فيها تاريخ أقوام على غير الواقع[29].

كما أيد قرار الحكومة المصرية بتقييد طباعة الكتب التي تنتمي إلى السير الشعبية، باعتبارها مخلة بالدين، ومناقضة للسياسة[30]. واتخذ جمال الدين الأفغاني «1838م _ 1897م» الموقف نفسه من السير الشعبية، ونعت إياها بـ»الكذبة»[31]، وقد تشابهت مواقف كل من الأفغاني، وعبد الله النديم «1843 _ 1896م»، فجمع بينهما اشتراكهما في موقفهما من الأدب الشعبي[32]؛ مما جعل الدراسات الشعبية تتشكل في منأى عن

15 وجيه كوثراني : إشكالية المنهج في الكتابة التاريخية العربية المعاصرة ، ورقة مقدمة لندوة إشكالية المنهج في العلوم الاجتماعية ، جامعة البحرين 9 ـ 11 إبريل 1994م ، ص 120.

16 طبع عدة طبعات بعد أن ظل محجوبًا لفترة ، وطبع لأول مرة عام 1879م بالمطبعة الأميرية ثم في المطبعة الشرقية 1905م، ثم تم تحقيقه تحت إشراف محمد شفيق غربال 1958م . انظر: عبد المنعم إبراهيم الجميعي : اتجاهات الكتابة التاريخية في تاريخ مصر الحديث والمعاصر القرنين التاسع عشر والعشرين ، عين للدراسات ، القاهرة 1994م ، ص 8 .

17 يؤرخ الكتاب للحملة الفرنسية وأفاد الجبرتي فيه من جهود إسماعيل الخشاب ، وحسن العطار ومن سبقه من المؤرخين، وتم تحقيق الكتاب عام 1961م. عبد المنعم إبراهيم، : اتجاهات الكتابة التاريخية، ص 8 .

18 كتاب نقولا بن يوسف الترك اللبناني في كتابه «ذكر تملك الفرنساوية للديار المصرية» وقد عمل نقولا في خدمة الأمير بشير الشهابي وحضر إلى مصر قبيل الحملة الفرنسية، ومال في كتابه تجاه الفرنسيين ومدح بونابرت ، ورثى كليبر، ولا يرقى إلى كتابات الجبرتي. عبد المنعم إبراهيم، : اتجاهات الكتابة التاريخية، ص 13.

19 للشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ الجامع الأزهر كتاب بعنوان : تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين» وتم تأليفه بناء على طلب الأتراك الذين استقبلهم بعد خروج الحملة الفرنسية ، وقيمته تنبع مما كتبه رجل دين عن الحملة ولو في صفحات قليلة ، وبيان موقفه. عبد المنعم إبراهيم، : اتجاهات الكتابة التاريخية، ص 13.

20رفاعة رافع الطهطاوي: أحد رواد النهضة العلمية في مصر والعالم العربي خلال القرن التاسع عشر ، وواحد من أوائل المبعوثين لتحقيق شروط النهضة وتجسير الهوة بين الحضارة العربية والغربية . انظر: جمال الدين الشيال ، رفاعة الطهطاوي زعيم النهضة الفكرية في عصر محمد علي ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة 2017م ، ص89-87.

21 نقل إلينا بعض أصداء أفكار الثورة الفرنسية إلى اللغة العربية ، ففي عام 1245هـ / 1830 م ترجم كتاب «دائرة العلوم في أخلاق الأمم وعوائدها» وهو الذي طبعه بعد ذلك بأربعة أعوام وسماه « قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر « والكتاب الفرنسي من تأليف دينج ، وبه فصل عن عادات الشعوب في الملبس والزي واللعب والرقص والمعتقدات الشعبية ، والجنائز ، ودفن الموتى . خالد أبو الليل : النخبة ، ص 89.

22 رفاعة الطهطاوي : مقدمة ترجمته لكتاب مواقع الأفلاك في وقائع تليماك، تقديم صلاح فضل ، دار الكتب ، القاهرة 2002م ، ص 29 ؛ خالد أبو الليل ، النخبة ، ص89.

23 رفاعة الطهطاوي : مقدمة ترجمته لكتاب مواقع الأفلاك في وقائع تليماك ، تقديم صلاح فضل ، دار الكتب ، القاهرة 2002م ، ص 29 ؛ خالد أبوالليل ، النخبة ، ص89.

24 اشتغل مدرسًا في جامعة بطرسبورج، يحظى بمكانة كبيرة في دوائر الاستشراق الأوروبي والروسي، انظر: أغناطيوس كراتشكوفسكي : حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوي ، ترجمة كلثوم نصر ، سلسلة ميراث الترجمة ، ع1772، المركز القومي للترجمة ، القاهرة 2012م ، ص 75.

25 الطهطاوي في كتابه «مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية» نزع نحو الوطنية وذكر معنى الوطن ومصر ومزاياها وفي خاتمة كتابه تطرق إلى ما يجب على المصريين تجاه وطنهم بأسلوب جمع فيه بين ثقافته الإسلامية وثقافته الفرنسية. قاسم عبده قاسم : قراءة التاريخ تطور الفكر والمنهج ، عين للدراسات ، القاهرة 2009، ص 283- 285؛ عبد المنعم إبراهيم، : اتجاهات الكتابة التاريخية، ص 17، 18 .

26 على مبارك : علم الدين ، ج1 ، 2 تقديم : سمير سرحان ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة 1993م، ص 7 ؛ خالد أبو الليل : النخبة ، ص 92.

27 محمد عبده : الأعمال الكاملة في الكتابات الاجتماعية ، تحقيق محمد عمارة ، الهيئة المصرية العامة ، مكتبة الأسرة القاهرة 2009 ، ص 60.

28 جمال الدين الأفغاني : الآثار الكاملة ، المجلدان 4 ، 5 ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة 2002م، ص 219 ؛ خالد أبو الليل : النخبة ، ص 105.

29 محمد عبده : مصدر سابق ، ص 60 ، 61 .

30 خالد أبو الليل : النخبة ، ص 101.

31 جمال الدين الأفغاني : الآثار الكاملة ، المجلدان 4 ، 5 ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة 2002م، ص 219 ؛ خالد أبو الليل : النخبة ، ص 105.

32 عبد الله النديم : التنكيت والتبكيت ، دراسة عبد المنعم الجميعي ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة 1994م، ص227؛ خالد أبو الليل : النخبة ، ص 134.

الثقافة الرسمية السائدة[33]، ولكن سار هذا التطور باتجاه عكسي في أواخر القرن التاسع عشر، فبمطالعة كتابات محمد مختار باشا[34]، وإسماعيل باشا سرهنك[35]، وأيضًا كتابات فيليب جلاد[36]، ويعقوب آرتين[37] في مصر، وسليم نقاش اللبناني، وميخائيل شاروبيم[38]، نجد أنها لم تخرج عن كونها كتابة حولية مضمونًا ومنهجًا، كتعبير عن ذاك البطء في حركة المجتمع المرتكز إلى فقه مؤسساتي ضابط للمجتمع والثقافة.

مرحلة جديدة في مسار حركة الدراسات الشعبية المملوكية

وكان الاحتلال البريطاني في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر، بمثابة صدمة فكرية، الذى حاول الخروج من سباته العميق، وأنماطه التقليدية في الكتابة، فبرز التاريخ باعتباره أحد أسلحة مقاومة الاحتلال، وذلك باستلهام أبطال السير الشعبية المتعلقة بأبطال المماليك كسيرة الظاهر بيبرس التي راجت منذ عصر المماليك وطوال القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين[(39)]،خصوصًا أنه تبلور فكر جيل النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فبرزت إسهامات جرجي زيدان (1861 – 1914) في الكتابة عن عصر المماليك بإيجاز في مواضع متفرقة من كتابه «تاريخ التمدن الإسلامي»، ثم كتابات أمين سامي باشا (1857-1941) في كتابه «تقويم النيل»[40]، ومثلت إسهامات الأثري المصري علي بك بهجت (1858-1924)[41]؛ مرحلة النضج؛ باعتباره أول تناول علمي لتاريخ عصر المماليك[42]، وجمعت دراساته المملوكية بين دراسة الآثار، والتاريخ الاجتماعي، والتطور العمراني ،كدراسة: «أحمد بن علي القلقشندي وكتابه صبح الأعشى» عام ١٨٩٩. أعقبها دراسة «نبذة جغرافية تاريخية فيما كانت عليه مصر في عهد دولة المماليك البرية والبحرية».

مسار الريادة العلمية الحديثة

كانت بدايات القرن العشرين مرحلة فارقة، فأصبحت مصر مزودة بشبكة متسعة من المدارس، بل أصبح التاريخ مقررًا أساسيًا في مناهجها[43]، وكمواجهة مباشرة للاحتلال الإنجليزي، خاصة بعد حادثة «دنشواي»، انطلق من قسم التاريخ في كلية الآداب بالجامعة المصرية سنة 1908، كتابات حملت في نسيجها نكهة خاصة في تجديد شكل الكتابة وحقولها المعرفية المقترنة بفكرة التاريخ.

اهتم الجيل الذي تولى المسؤولية بعد الأجانب في طرح وجهة نظر مصرية في مواجهة الكتابات الأوروبية، لتعطي دراسة ماضي الأقطار العربية والإسلامية مضمونًا وظيفيًا، بهدف إبراز عوامل خصوصية ووحدة الأمة. ومعها راجت كتابات الشيخ محمد عفيفي الخضري[44]، اعتبارًا من عام 1911، الذي جمع محاضراته في كتاب بعنوان: «محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية»، عام 1916، وإشارته إلى دور المماليك في مواجهة الصليبيين والمد المغولي، ولا شك أن هذه الوجهة كانت نتاج مرحلة « وعي سياسي» يسترجع الماضي كصورة لما ينبغي أن يكون عليه الحاضر[45].

وفى آتون الحرب العالمية الأولى، وهذا له دلالته التي تتوافق والطرح الإشكالي، دخلت مصر القرن العشرين مزودة بشبكة

33 عبد الله إبراهيم : السردية العربية ، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1992م ، ص 136 ـ 137.

34 مأمور الخاصة الخديوية ومن أبرز مؤلفاته «التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية» عبد المنعم إبراهيم، : اتجاهات الكتابة التاريخية، ص 22.

35 ناظر المدارس الحربية له كتاب بعنوان «حقائق الأخبار عن دول البحار». اشتمل على عرض لتاريخ الإنسان منذ الخليقة مرورًا بعصر المماليك انتهاء إلى عصر عباس الثاني، وتعرض لبعض الدول البحرية القديمة والحديثة وموقعها الجغرافي وأرخ لثغورها الحربية والتجارية ومشاهير ملوكها وما عاصرهم من الأحداث. عبد المنعم إبراهيم، : اتجاهات الكتابة التاريخية، ص 22.

36 مندوب قضايا نظارة الحقانية له كتاب بعنوان «قاموس الإدارة والقضا» في سبعة أجزاء طبع الجزء الأول بمطبعة بني لاغوداكي بالأسكندرية في عام 1899م. عبد المنعم إبراهيم، : اتجاهات الكتابة التاريخية، ص 22.

37 وكيل نظارة المعارف العمومية له كتاب بعنوان «القول التام في التعليم العام» طبع بمطبعة بولاق في عام 1894م.

38 قبطي مصري ولد في حي السقايين بالقاهرة عام 1861م ، كتب «الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث» صدر في أربعة أجزاء بين عام 1898 ، 1900 ويتكون من 1738 صفحة من القطع الكبير تعرض فيه لتاريخ مصر من بداياته وحتى عباس الثاني أراد أن يثبت وحدة تاريخ مصر واتصاله بشكل لا ينقطع، وأسلوبه ينتمى إلى كتابات مؤرخي العصور الوسطى . عبد المنعم إبراهيم، : اتجاهات الكتابة التاريخية، ص 26.

39 الونشريسي: المعيار المعرب 1/69؛ خالد أبو الليل: المستشرقون ودراسة المأثورات العربية في القرن التاسع عشر ، مجلة الفنون الشعبية ، الهيئة المصرية ، ع90 ، 2012م ، ص86.

40 نُشر في ثلاثة أجزاء بين عامَي 1915 و 1936 ، تناول في الأول تاريخ مصر من الفتح الإسلامي حتى نهايات الحكم المملوكي وبدايات الحكم العثماني، وفي الثاني من الحكم العثماني حتى نهاية عهد محمد علي، أما الثالث، فقسم إلى ثلاثة مجلدات، تناول في الأول منها عصرَي عباس باشا ومحمد سعيد باشا بين عامَي 1848 و 1863 ، والثاني والثالث عصر إسماعيل بين عامَي 1863 و 1879م.

41Abou-Ghazi, Emad.Mamluk Studies in the Arab World، Leiden، E.J.Brill485 ،2021 ، .

42 كان بهجت ينشر أعماله في مجلة المجمع العلمي المصري باللغة الفرنسية وعادة ما كان يقدمها كمحاضرات في الموسم العلمي للمجمع، لكنه في نفس الوقت كان ينشرها باللغة العربية في مجلة الموسوعات التي بدأت في الصدور في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، وكان يوقع هذه الدراسات باسمه أحيانًا وفي أحيان أخرى باسم قلم اتخذه لنفسه وهو «أثري».

43 أحمد زكريا ، من الحوليات إلى التاريخ العلمي: نهضة الكتابة التاريخية في مصر، سلسلة مصر النهضة 84، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، 2011 م ، ص 33 و 75. وأيضاً: عبد الخالق لاشين، مصريات في الفكر والسياسة، القاهرة، سينا للنشر، 1993، ص 15 – 18 و 21 – 22؛ نجلاء سعيد مكاوي : تحولات الكتابة التاريخية في مصر المعاصرة : الاتجاه والنظرية والمنهج والدور ، ضمن أعمال مؤتمر التأريخ العربي وتاريخ العرب ، بيروت ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات ، 2016 م ، ص 526 ، و 527 .

44 محمد الخضري (١٢٨٩ – ١٣٤٥ هـ = ١٨٧٢ – ١٩٢٧ م)باحث، خطيب، من العلماء بالشريعة والأدب وتاريخ الإسلام، من كتبه (محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية) جزآن،لم يكن الرجل متخصصًا في التاريخ لكنه متخرج من مدرسة دار العلوم العليا ومتخصص في العلوم الشرعية، واشتغل بالقضاء الشرعي، وقد كلفته الجامعة بتدريس مادة التاريخ الإسلامي بعد تراجعها عن تكليف جرجي زيدان بتدريس هذه المادة خشية من أن يثير قيام مسيحي شرقي بتدريس المادة بإثارة المحافظين في المجتمع. الزركلي ،خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس ت1396هـ : الأعلام ، ط15 ، دار العلم للملايين ، بيروت 2002م ، 6 / 268.

45 وجيه كوثراني: إشكالية المنهج في الكتابة التاريخية العربية المعاصرة ، ورقة مقدمة لندوة إشكالية المنهج في العلوم الاجتماعية ، جامعة البحرين 9 ـ 11 إبريل 1994م ، ص 122 بتصرف .

متسعة ومحدثة من المدارس التاريخية، وأصبح التاريخ مقررًا أساسيًا في مناهجها[46]، يتسم بالطابع الأكاديمي الذي امتد لدراسة التاريخ المملوكي، وكان طه حسين في عام 1914م، أول طالب مصري يحصل على درجة الدكتوراة في الأدب العربي في موضوع له صلة بتاريخ المماليك، ألا وهو «دارسة تحليلية نقدية عن الفلسفة الاجتماعية عند ابن خلدون»[47]، ظلت الدراسات حول بن خلدون موضوعًا مشتركًا بين أقسام كليات الآداب والعلوم السياسية، ثم برزت الدراسات الأولى حول تاريخ الأيوبيين والمماليك، مثل: دراسة الدكتوراة للباحث أحمد بيلي عن «صلاح الدين الأيوبي»، والتي أُجيزت في سنة 1920م .

وبالتزامن مع هذا، ظهر اهتمام من خارج الوسط الأكاديمي، فكتب حسين مظلوم رياض ، ومصطفى الصباحي «تاريخ أدب الشعب 1936م»، عارضًا نماذج لأدباء العصر المملوكي، كابن عروس[48]، وكانت بمثابة إضافة لإسهام أحمد تيمور باشا، عن العصر المملوكي، ونشأة «خيال الظل»[49]، وفؤاد حسنين علي «قصصنا الشعبي» 1947، التي تتبع فيها القص الشعبي، ونشأة السيرة الشعبية المملوكية. وفي فترة ما بين الحربين ظهرت مقالات في الهلال والرسالة والثقافة، تشير إلى التراث الشعبي[50]، إلى جانب إسهامات ماير[51]بدراسته عن لعبة الورق (الشدة) عند المماليك عام 1939م.[52]

وبالعودة مرة أخرى للمجال الأكاديمي، جاءت دراسات محمد جمال الدين سرور، الذى حصل عام 1943، على درجة الدكتوراة في رسالة بعنوان «سياسة مصر وحضارتها في عصر أسرة قلاوون» ، وحصل علي إبراهيم حسن في العام نفسه، على درجة الدكتوراة في موضوع «الناصر محمد بن قلاوون سيرته وأنظمة الحكم في عصره»، أعقبها دراسات سعيد عبد الفتاح عاشور عام 1949 عن «قبرص والحروب الصليبية»، وفتحت دراسة إبراهيم طرخان عن النظم الإقطاعية في العصور الوسطى، الباب أمام الدراسات الاجتماعية والاقتصادية لعصر المماليك، وكانت نقطة التحول الأولى عندما وجه مصطفي زيادة[53] تلميذه سعيد عاشور[54] في مطلع الخمسينات من القرن العشرين لدراسة التاريخ الاجتماعي.

بدأت الدراسات الشعبية الأيوبية والمملوكية، تأخذ منحى جديدًا على يد قسم اللغة العربية بالجامعة المصرية بتطويع النصوص السردية للعامل التاريخي، فأصبحت بذلك تعالج الأدب في التاريخ، وليس التاريخ في الأدب، كدراسة سَهير القلماوي عام 1941 عن «الناحية الأدبية في ألف ليلة وليلة»، التي أسست دراسات الأدب الشعبي، أعقبها رسالة الماجستير لعبد الحميد يونس عام 1946 ، المعنونة «سيرة الظاهر بيبرس»، والتي قدمت الرؤية المتخيلة في الوجدان الشعبي لتأسيس دولة المماليك في مصر؛ ليصبح عبد الحميد يونس فيما بعد مؤسسًا لمدرسة الدراسات الشعبية في الجامعة المصرية، وذلك بالتزامن مع بروز مضمون جديد للشعب في التحليل السياسي والنزوع القومي التحرري لمواجهة الاستعمار[55]، وأنشئ أول كرسي للأدب الشعبي في كلية الآداب جامعة القاهرة عام 1955م نتاجًا لهذه التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي مرت بها مصر بعد ثورة يوليو 1952م[56]، التي خلقت ظروفًا موضوعية تاريخية للتطور الفكري والاجتماعي الذي فرض الاتجاه إلى حياة الشعب وتاريخه وميراثه وفنونه بهدف دعم شخصيته وتأصيل الطابع القومي في الإنتاج الفني والثقافي[57]،

46 أحمد زكريا الشلق، من الحوليات إلى التاريخ العلمي: نهضة الكتابة التاريخية في مصر، سلسلة مصر النهضة 84، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، 2011 م ، ص 33 و 75 ؛ عبد الخالق لاشين، حول مناهج كتابة تاريخ الحركة الوطنية في مصر، دراسة في كتابه الذي ضم عددًا من الدراسات والمقالات العلمية، نشر بعضها، ونوقش الآخر في مؤتمرات وندوات علمية. انظر: عبد الخالق لاشين، مصريات في الفكر والسياسة، القاهرة، سينا للنشر، 1993، ص 15 – 18 و 21 – 22؛ نجلاء سعيد مكاوي : تحولات الكتابة التاريخية في مصر المعاصرة : الاتجاه والنظرية والمنهج والدور ، ضمن أعمال مؤتمر التأريخ العربي وتاريخ العرب : كيف كتب وكيف يكتب الإجابات الممكنة ، بيروت ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات ، 2016 م ، ص 526 ، و 527 .

47 Abou_ Ghazi :op, cit, p. 485.

48 حسين مظلوم ، مصطفى الفحام : تاريخ أدب الشعب ، نشأته ، تطوره ، أعلامه ، مطبعة السعادة ، القاهرة 1936م، ص 83 ، 93.

49 موسوعة المعرفة، مج13، 1981م، ص2163-2161.

50 أحمد رشدي: تطور الفولكلور في مصر ، مجلة الطليعة س3 ، ع 11 ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة 1967م ، ص 71.

51 ليو آريه ماير Leo Arya Mayer المولود في النمسا عام 1312 – 1313 / 1895م اهتم بدراسة التاريخ المملوكي وله دراسة مهمة عن لعبة الورق (الشدة) عند المماليك نشرت في عام 1939م باللغة الإنجليزية ، وأعيد نشرها في كتيب مستقل عام 1971م تناولت البحث عن جذور اللعبة وخصائصها ومميزاتها ، وأدواتها استنادًا إلى المصادر الإسلامية والأوربية المخطوطة والمنشورة ، وتوصل إلى أن لعبة الورق هي عربية إسلامية الأصل ، ظهرت وتطورت في العهد المملوكي ، ومن هنا انتقلت إلى أوروبا . للمزيد هشام فوزي حسن: المستشرق ليو آريه والدراسات العربية الإسلامية ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، الحولية 30 ، الرسالة 311، الكويت 2010 ، ص 61 .

52 L.A. MAYER Mamluk Playing Cards، Leiden, E.J.Brill، 1971.

53 يعد محمد مصطفى زيادة الرائد الأول للدراسات المملوكية ومؤسس مدرستها في الجامعات المصرية وفي بعض الجامعات العربية، تخرج في مدرسة المعلمين السلطانية عام 1921، وأكمل دراسته في جامعة ليفربول؛ وحصل دكتوراه الفلسفة في تاريخ العصور الوسطى عام 1930، وكانت رسالته عن «العلاقات الخارجية لمصر في القرن الخامس عشر الميلادي» ومن هنا جاء اهتمامه بالدراسات المملوكية.

54 مؤرخ مصري وأكاديمي، له أكثر من عشرين كتابًا في تاريخ أوروبا العصور الوسطى والتاريخ العربي الإسلامي. (1922 – 2009م) يعد المؤسس الثاني لمدرسة تاريخ العصور الوسطى عامة ومدرسة الدراسات المملوكية ، حصل على درجة الدكتوراه عام 1955 في موضوع: «الحياة الاجتماعية في مصر في عصر سلاطين المماليك»

55 خالد أبو الليل : الأدب الشعبي في مصر : دراساته ومؤسساته في الفترة 1952 ـ 2011، مجلة الثقافة الشعبية، ع 48، م13 ، البحرين 2012م ، ص 32- 62.

56 ناصر إبراهيم: البعد النقدي في الكتابة التاريخية عند جيل الستينيات رؤوف عباس ومنطلقاته الفكرية نموذجًا (المؤتمر السنوي الخامس عشر للجمعية المصرية للدراسات التاريخية 28 ـ 29 إبريل ، بتصرف ؛ خالد أبو الليل : الأدب الشعبي في مصر ، ص 40 .

57 أحمد رشدي صالح : تطور الفولكلور في مصر، ص71.

ومن يمعن النظر في النقلة النوعية التي أحدثها الإنتاج الأكاديمي الرصين لجيل ما بعد الثورة في حقل الدراسات الشعبية على مدار أكثر من خمسة عقود خلت. وفي وسعنا تفسير هذه الظاهرة الجديرة بالاهتمام من خلال نظرية تربط عادة بين ما يطرأ على بنية النظام الاجتماعي من تغير، وبين ميلاد جيل ينعكس عليه هذا التغير، يفجر فيه طاقات جديدة واهتمامات جديدة تتواكب مع مسار ذلك التطور[58]. وظهرت كتابات تساير الاتجاه السائد وقتها، مثل كتابات سعد الخادم عن الصناعات والفنون الشعبية في مصر المملوكية 1957م[59]، التي ارتبطت بحقول معرفية أخرى كعلم الفولكلور[60].

وامتدادًا لدراسة الأدب الشعبي المملوكي على يد جورج يعقوب[61]، وبول كاله[62] لكتاب «طيف الخيال» لابن دانيال[63] الموصلي[64]، عن خيال الظل، نجد دراسات فؤاد حسنين في مقالاته المنشورة عن ابن دانيال في مجلة الثقافة[65]، قام إبراهيم حمادة بتحقيق نصوص خيال الظل، وتمثيليات ابن دانيال 1961م[66]، حصل أحمد صادق الجمال، على درجتي الماجستير والدكتوراه بجامعة القاهرة «تخصص في الأدب الشعبي»، عن رسالته «الأدب العامي في مصر في العصر المملوكي» عام 1965، وغيرها من الدراسات[67]، وأخيرًا دراسة لمحمد قنديل البقلي، عن «الأوزان الموسيقيةفي أزجال ابن سودون» [٦٨].

جيل السبعينيات ومسار التحولات

خطت الدراسات الشعبية المملوكية خطوات لا بأس بها في ستينيات القرن العشرين، ولكنها قيدت من قبل التيارات السائدة وقتها، فتوجس المحافظون من دراسة أدب الشعب، وما يمثله من تهديد للغة والإسلام، ووصف اليساريون الدراسات الشعبية بالرجعية والتخلف، وارتأى دعاة الوطنية أن الدراسات الشعبية صنيعة الاستعمار؛ لأنها تمت على يد المستشرقين، وأشار القوميون إلى ما يمثله هذا الحقل المعرفي من فرقة وانقسام، باعتبارها ذات نزعة إقليمية ، ووصل الأمر إلى اتهام العاملين في حقل الدراسات الشعبية بالعمالة[69]، ولكن تغيرت الظروف الموضوعية في عقدي السبعينات والثمانينيات، بظهور توجهيتهم بالدراسات الشعبية في ضوء النظريات النقدية الحديثة للأدب، على المستويين الأكاديمي والثقافي، فتناول محمد رجب النجار فكرة البطل، وقضايا العدل الاجتماعي في ملحمة الظاهر بيبرس[70]، ثم دراسته الشعر الشعبي الساخر في عصر المماليك[71]، موضحًا أن الحقل المعرفي المتعلق بالدراسات الشعبية المملوكية لم يلق حقه العلمي والمنهجي من الدراسة، وأن معظم الآثار الأدبية الشعبية والشعرية المملوكية قابعة في مكتبات العالم[72]. وفي رأيه أن التراث الشعبي الذي جاء في كتب المؤرخين وأصحاب الموسوعات، كان ينقسم إلى قسمين كبيرين: أحدهما لايزال بوظائفه الحيوية والفكرية والنفسية والجمالية، وهو ما يسميه علماء الفولكلور «المأثورات الشعبية»، والثاني هو هذا الجزء من المادة، أو العناصر الفولكلورية التي تحجرت وظائفها منذ زمن بعيد، وتحولت إلى مجرد رواسب ثقافية احتفظت بها كتب التراث العربي، ولم تعد لها من قيمة الآن سوى قيمتها الثقافية، أطلق عليه مصطلح «الأوابد»، دلالة على أنها لم تعد حية وفاعلة.[73]

ودراسته المعنونة «حكايات الشطار والعيارين»[74] مستعرضًا بوادر ظاهرة الشطار والعيارين في المصادر التاريخية والأدبية، كمحاولة للتوصل إلى دراسة واقعهم التاريخي والسياسي[75]، ثم

58 ناصر إبراهيم: البعد النقدي في الكتابة التاريخية عند جيل الستينيات رؤوف عباس ومنطلقاته الفكرية نموذجًا (المؤتمر السنوي الخامس عشر للجمعية المصرية للدراسات التاريخية 28 ـ 29 إبريل 2015.

59 سعد الخادم : الصناعات الشعبية في مصر ، دار المعارف ، القاهر 1957م .

60 أحمد رشدي: تطور الفولكلور ، ص71.

61 Georg Jakob مستشرق ألماني. ولد في (كونيجزبرج) وعني بالدراسات الشرقية والاهوتية، ثم تفرغ للأولى. وأخذ عن فليشر ونولدكه وغيرهما. وتخرج بجامعة ليبسيك. وألف بالألمانية كتبا عن (حياة البدو في العصر الجاهلي) و (جغرافيي العرب) و (شعراء العرب) و (خيال الظل وتاريخه) و (أثر الشرق في الغرب) تُرجم إلى العربية ونشر بها واتجه الى الدراسات التركية، فنشر طائفة من كتبها.الأعلام للزركلي 2/149.

62 مستشرق ألماني (1875 – 1964 م) .

63 شمس الدين محمد بن دانيال الكحال (646هـ / 1238م – ت710 هـ / 1310م)

64لقد تم نشر الكتاب متفرقا على يد جورج ياكوب (1862 – 1937) ثم الألماني بول كاله ونشره في ألمانيا وخلال سنتي 1910م ، 1912م، وترجع أهمية جهودهما في عنايتهما بعدد من البابات ومنها «طيف الخيال، وعجيب وغريب ، والمتيم لابن دانيال الموصلي ، ولعب التمساح ، وحرب العجم للشيخ سعود علي النحلة وداود العطار ، الذين كانوا رؤساء لفرق خيال الظل وقت أن كان ذلك الفن مزدهرًا ثم قدم إبراهيم حمادة نشرة مجتزأة للكتاب، ثم نشره مصطفى بدوي في لندن 1992م ، ثم حققه عمرو منير كاملا على كل مخطوطاته المعروفة مع شرح وتعليق 2021م. أحمد رشدي صالح ، فنون الأدب الشعبي ، مكتبة الأسرة 1997م ، ص 29 – 34 بتصرف ؛ خالد أبو الليل : النخبة ، ص 48 .

65 مجلة الثقافة، 1942 و1943 أعداد 208 و209 و210.

66 إبراهيم حمادة : خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال، المؤسسة العامة للتأليف والنشر، القاهرة 1961م .

67 Abou_ Ghazi :op, cit, p. 489.

68 محمد قنديل البقلي: دراسات حول ابن سودون وأدبه الشعبي، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج27، 1971م، ص١٩٠-181..

69 خالد أبو الليل: الأدب الشعبي في مصر، ص 32- 62.

70 محمد رجب : البطل في الملاحم الشعبية العربية قضاياه وملامحه الفنية ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 2018م، ص 311 ـ 386.

71 أشار النجار إلى إن المقصود بالعصر «المملوكي» ذلك الذي يبدأ من مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب مرورًا بالمماليك البحرية فالمماليك البرجية (الجراكسة) فالمماليك العثمانية من القرن السابع الهجري (منتصف القرن الثالث عشر الميلادي) وتستمر حتى الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري (آخر القرن الثامن عشر الميلادي)، للمزيد: محمد رجب النجار : الشعر الشعبي الساخر في عصور المماليك ، مجلة عالم الفكر ، العدد الثالث ، المجلد الثالث عشر ، الكويت 1982م. ص146-63.

72 محمد رجب: الشعر الشعبي ، 65.

73 محمد رجب: الشعر الشعبي الساخر في عصور المماليك، مجلة الفنون الشعبية ع 71 ، القاهرة 2006 ، ص 85.

74 محمد رجب: حكايات الشطار والعيارين ، هيئة قصور الثقافة ، القاهرة 2002م.

75 خالد أبو الليل : النخبة ، ص 238.

انطلق رجب النجار في مشروعه المتمثل في ضرورة جمع أدبنا الشعبي العربي من المصادر التراثية ودراسته، وقد تحقق مشروعه في تحقيق ودراسة لسيرة على الزيبق المصري 1998م ، وفاكهة الخلفاء وفاكهة الظرفاء 2003، ثم كتابه التراث القصصي في الأدب العربي مقاربات سوسيوسردية، جل غايتها أن تبين لنا أن موضوع السرد العربي الشعبي في العصر المملوكي والحضارة العربية كان في حاجة إلى دراسة منهجية متكاملة تحاول الإفادة من بعض تلك الدراسات الرائدة في مجال السرديات العربية والمملوكية في سبيل النهوض بتأريخ جديد لهذه السرديات بتشكلاتها المتنوعة.

أما سعيد عبد الفتاح عاشور، فقد أصبح من أبرز المتخصصين المصريين والعرب في تاريخ المماليك منذ الخمسينيات من القرن الماضي ، ويعد المؤسس الثاني لمدرسة الدراسات المملوكية بعد أستاذه محمد مصطفي زيادة[76]، وقد حصل على درجة الدكتوراة عام 1955 في موضوع: «الحياة الاجتماعية في مصر في عصر سلاطين المماليك»، والذي دخل في دائرة اهتمام الباحثين والطلاب المهتمين بالدراسات الشعبية التاريخية ؛ حيث يقع ضمن نطاق تخصص علوم التاريخ والفروع ذات الصلة من الفولكلور والجغرافيا والآثار وغيرها من التخصصات الاجتماعية، واعتمد على مصادر غير تقليدية في العصر المملوكي ككتاب المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار لعبد الرحمن بن عمر الجوبري[77]، عن الحيل والشعبذة، التي شاعت في عصري الأيوبيين والمماليك، قدمت صورة دقيقة عن حِيَل الشَّعْبَذة، والألعاب السحرية في إشارة إلى أنه بمجرد تصوير حماقات المجتمع ونقاط ضعفه، قد يمنحا في غياب المصادر التاريخية الدقيقة عددًا من التمثيلات الذهنية للأفكار التي احتضنها المجتمع[78]. وإجمالًا كانت دراسات عاشور تأسيسًا لاتجاه جديد في الدراسات المملوكية والاهتمام بدراسة الطبقات والقوى الاجتماعية، والعادات والتقاليد، والمعتقدات ومظاهر الحياة اليومية، والأعياد والاحتفالات، والطوائف الدينية والاجتماعية المختلفة.[79]

الجيل الثالث ومسار التحولات والنضج

وفي التسعينيات من القرن الماضي، وبداية الألفية الجديدة، بدأت الدراسات الشعبية المملوكية تأخذ منعطفًا جديدًا بالربط بين التاريخ والفولكلور، من خلال الاتجاه الذي قاده قاسم عبده قاسم، الرائد الثالث في مجال الدراسات المملوكية، فهو من أبرز تلاميذ سعيد عبد الفتاح عاشور، الذين واصلوا دراسة التاريخ الاجتماعي لعصر المماليك، كما تأثر بعشق أحمد علي مرسي، و محمد رجب النجار للموروث الشعبي، فأضاف بُعدًا جديدًا للدراسات التاريخية عن عصر المماليك من خلال «القراءة الشعبية للتاريخ»، ومن أهم دراساته في هذا المجال: كتابيه بين الأدب والتاريخ، وبين التاريخ والفلكلور، وأبحاثه المتعددة حول التراث الشعبي والأدب مصدرًا لدراسة التاريخ، في محاولة منه ليعالج التاريخ في الأدب وليس الأدب في التاريخ، وتأكيده على أن تراث الثقافة العربية الإسلامية تضمن مادة تراثية خالصة، تمثلت في الأساطير، والسير، والحكايات الشعبية والشعر والأزجال والبلاليق والألغاز، وغيرها، وكل نمط من هذه الانماط، حمل «الموروث الشعبي» العربي[80]. إضافة إلى دراساته في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لعصر المماليك[81]، ودراساته المرجعية في التاريخ السياسي لعصر سلاطين المماليك، التي شكَّلت قفزة نوعية في تجديد الكتابة عن الدراسات الشعبية المملوكية.

ولعل أهم ما ميز هذا الإنتاج تأكيده على أهمية تقديم قراءة التاريخ قراءة تأويلية جديدة بكل تمثلاته الأنثروبولوجية والثقافية والحربية والدبلوماسية، وبشكل لا يأبه بصرامة الوثائقية والتدوين الرسمي، وإعادة الاعتبار إلى صانعي التاريخ الحقيقي بعد أن جرت العادة على ألا يقترب منهم المؤرخون، ولا يرصدوا أحداث حياتهم اليومية ما بين إحباط وآمال وآلام، وكأن التاريخ هو التاريخ الرسمي فقط. من هنا ركز قاسم عبده على فهم دور البنية الأساسية في صياغة حركة المجتمع المصري المملوكي بكل أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، التي شكَّلت حلقة مهمة وثرية، وقفزة نوعية في تجديد الكتابة التاريخية العربية والدراسات الشعبية المملوكية. ولعل أهم ما ميز هذا الإنتاج تأكيده على أن المؤرخ لا الوثيقة هو منتج المعرفة التاريخية، وأنه من خلال تنمية كفاءة المؤرخ وإثراء خبرته عبر تسليحه

76 يعد محمد مصطفى زيادة الرائد الأول للدراسات المملوكية ومؤسس مدرستها في الجامعات المصرية وفي بعض الجامعات العربية، تخرج في مدرسة المعلمين السلطانية عام 1921، وأكمل دراسته في جامعة ليفربول؛ وحصل دكتوراه الفلسفة في تاريخ العصور الوسطى عام 1930، وكانت رسالته عن «العلاقات الخارجية لمصر في القرن الخامس عشر الميلادي» ومن هنا جاء اهتمامه بالدراسات المملوكية.

77 الجوبري، عبد الرحيم بن عمر (ق7هـ): المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار، (تحقيق: منذر الحايك، دار صفحات، دمشق 2014م).

78 مارينا وورنر: السحر الأغرب، ص177.

79 Abou_ Ghazi :op, cit, p. 488.

80 قاسم عبده: مقدمة كتاب مصر في الأساطير العربية ، عين للدراسات ، القاهرة 2009. ، ص 26 .

81 وقدم فيها بالإضافة للدراسات السابقة، كتابه دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، عصر سلاطين المماليك، وأبحاثه عن أسواق القاهرة في عصر سلاطين المماليك (1976)، والمجاعات والأوبئة في مصر زمن سلاطين المماليك (1983)، والحرف والصناعات المرتبطة بالحياة اليومية في مصر عصر سلاطين المماليك (1988)، ووثائق دير سانت كاترين مصدرًا للتاريخ الاجتماعي (1999) ؛ الحياة اليومية في مصر عصر سلاطين المماليك (2019).

بالثقافة المنهجية التي لا تتوقف عن تجديد نفسها، يمكننا تطوير الدراسات الشعبية المملوكية[82].

وفي ضوء ذلك، جاءت دراسته بين التاريخ والفولكلور[83] ؛ كي تربط بين التاريخ والفلكلور باعتبارهما من المجالات التي حاول الإنسان أن يعبر فيها عن ذاته[84]، ورأى أن الفولكلور يسد النقص الذي يقع فيه المؤرخون إذا ابتعدوا عن صناع التاريخ الحقيقيين، وفي دراسته المشتركة مع أحمد الهواري والمعنونة :»الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث» توقف عند بعض أشكال الفولكلور من الأجناس الكبرى بصفة خاصة، مثل: الأساطير، وبعض الأعمال الإبداعية الروائية التي تستوحي التاريخ المملوكي، مثل: الحملة الصليبية السابعة على مصر 1261م ، في رواية اليوم الموعود لنجيب الكيلاني، وهزيمة التتار في معركة عين جالوت من خلال رواية «وا إسلاماه» لأحمد علي باكثير، وانتصار العثمانيين على مماليك مصر في الريدانية 1517، في رواية «على باب زويلة» لسعيد العريان[85] ثم رواية ابنه المملوك أولى روايات محمد فريد أبو حديد[86].

وفي دراسته المعنونة «الأدب الشعبي وسيلة للتعرف على الحياة الفكرية للشعوب »[87]، أكد على بيان أهمية الذهنيات، من حيث كونها أنسب الوسائل لملامسة صدى حضور التاريخ في الحاضر[88]، وأن الموروث الثقافي والشعبي، هو بمثابة شاهد على ذهنية المجتمع، ويساعدنا على فهم إنسان العصر الذي يدرسه بآماله وهمومه والأفكار التي توجه حركته، والرؤى الاجتماعية التي يرى من خلالها العلاقات[89]،وقدمت دراسة «القراءة الأسطورية للتاريخ» لنفسها بمدخل واف عن الأسطورة والتاريخ، باعتبار الأسطورة تحمل تصورًا نفسيًا في مضمونها[90].

إن الهم الأعظم لكل دراسات قاسم كان البحث عن التفسير الشعبي لأحداث التاريخ «روح التاريخ لا جسده»[91]، ومن ثم فتح المجال للتاريخ الاجتماعي المملوكي كنمط جديد على تقاليد الكتابة التاريخية العربية[92].

أما دراسته «الموروث الشعبي والدراسات التاريخية»[93]، فقد توقفت بنا كذلك أمام العلاقة بين التاريخ والموروث الشعبي، وبخاصة في الأجناس السردية كالأسطورة والسيرة والحكاية الشعبية شعرًا أو نثرًا، ثم قام بإعادة قراءة المادة الشعبية في خطط المقريزي، أحد أهم مدونات العصر المملوكي الغاصة بالموروث الشعبي. وهكذا راح قاسم في دراسته التي تنتمي في الأصل إلى علم التاريخ وليس الفولكلور، يتابع الخبر التاريخي بالموروث الشعبي المتعلق به حتى أصبحت دراسته تاريخًا وفولكلورًا يتراسلان التنوير والتعريف بما لم يكن بوسع التاريخ بمعناه التقليدي أن يقدمه لنا[94]. وهو ما أكد عليه في دراسته لنص ابن زنبل الرمال الموسوم « واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني» باعتباره نصًا يقع في منطقة الحدود بين التاريخ والأدب الشعبي — والحكاة الشعبية على وجه التحديد — باعتباره نصًا تاريخيًا فريدًا يمزج بين التاريخ والحكاية الشعبية ، ويؤدي وظيفة مهمة في خدمة الباحثين في مجال الدراسة التاريخية ، والباحثين في مجال الأدب الشعبي على السواء[95].

انشغل قاسم بنهر النيل في عصر المماليك أكثر من مرة في دراسة مستقلة مرة[٩٦]، ثم عن طريق التداعي في دراسات أخرى[٩٧]مرات ، يلتزم الكاتب في كل مرة نفس منهجه السابق، وهو عدم الاكتفاء بالتاريخ الوثائقي المدون ومحاولة التعرف على أبعاد أكثر للصورة التي ترد عبر الموروث الشعبي، وتتبع التصورات الإسلامية للنيل

82 ناصر إبراهيم : أزمة الكتابة التاريخية في فكر جيل الستينيات قراءة مكثفة في كتابات رءوف عباس ، مجلة أسطور ، العدد 15 ، الدوحة يناير 2022، ص 328 بتصرف.

83 قاسم عبده: بين التاريخ والفولكلور ، مجلة الفنون الشعبية ، ع 40 ، 41 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1993م ، 42 – 46 ، ونشرت ضمن كتاب حمل العنوان ذاته ، عن دار عين للدراسات ، ثم أعيد نشرها في سلسلة الدراسات الشعبية بالقاهرة .

84 قاسم عبده: بين التاريخ والفولكلور، ص 42.

85 قاسم عبده ، أحمد الهواري : الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، دار المعارف ، القاهرة 1979م.

86 قاسم عبده: الرواية التاريخية عند محمد فريد ابو حديد : رواية ابنة المملوك : قراءة في العلاقة بين الأدب والتاريخ ، مجلة أدب ونقد ، ع 144، القاهرة 1997م ، ص 38 – 48 ؛ قاسم عبده قاسم : بين التاريخ والفولكلور ، دار عين ، القاهرة 2001 ، ص 179 – 190؛ قاسم عبده قاسم : بين الأدب والتاريخ ، عين للدراسات ، القاهرة 2007م ، ص 21 – 30.

87 قاسم عبده : الأدب الشعبي وسيلة للتعرف على الحياة الفكرية للشعوب ، مجلة الفنون الشعبية ، ع 24، القاهرة 1988، 16 – 24؛ السيرة الشعبية مصدرا لدراسة التاريخ الاجتماعي- مجلة فكر للدراسات والأبحاث/ العدد التاسع- باريس 1986م.

88 شريف عبد الباسط : التدين وتاريخ الذهنيات في جزائر القرن التاسع عشر، دراسات مؤمنون بلا حدود، إبريل 2014م .

89 قاسم عبده : الأدب الشعبي ، ص 24.

90 قاسم عبده : القراءة الأسطورية للتاريخ مجلة الفنون الشعبية ، ع 56 – 57 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1997م ، 23- 34.

91 قاسم عبده قاسم : بين التاريخ والفولكلور ، ص 46؛ «الموروث الشعبي والدراسات التاريخية» بحث مقدم إلى ندوة الفلكلور والمستقبل المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب- ديسمبر 1994م.

92 E. J. Hobsbawm, "From Social History to the History of Society, 'Daedalus: Historical Studies Today, Vol. 100, no. 1 (Winter 1971), pp.20-45.

وانظر: ناصر إبراهيم : أزمة الكتابة التاريخية في فكر جيل الستينيات قراءة مكثفة في كتابات رءوف عباس ، ص 320 بتصرف .

93 قاسم عبده: الموروث الشعبي والدراسات التاريخية خطط المقريزي : دراسة تطبيقية ضمن كتاب «بين التاريخ والفولكلور ، دار عين ، القاهرة 2001م.، 41.

94 ثناء أنس الوجود: عن القراءة الشعبية للنصوص (ضمن كتاب قاسم عبده قاسم بين التاريخ والأدب الشعبي، تحرير: عمرو منير) ، القاهرة 2013، ص 104.

95 قاسم عبده قاسم : واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني نهاية المماليك بين التاريخ والحكي الشعبي ، عين للدراسات ، القاهرة 2014م.

96 قاسم عبده : نهر النيل في الأساطير العربية ، مجلة الفنون الشعبية ، ع21، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1987م ، 57 – 67.

97 قاسم عبده : خطط المقريزي 89 – 101 ؛ بين التاريخ والفولكلور ، ص 103 – 122.

ومنابعه في دراسته :«نهر النيل في الأساطير العربية»[98]، وهكذا سدت الأساطير والموروثات الشعبية النقص في تاريخ نهر النيل، وبخاصة في منطقة المنابع ، وكأن هذا الامتداد الشعبي التاريخي لنهر النيل، هو التاريخ الشعبي الذى ينبغي النظر إليه[99].

وأورد قاسم في دراسته المعنونة بـ»الشخصيات التاريخية في سيرة الظاهر بيبرس»[100] ، موضوعين مهمين حول سيرة الظاهر بيبرس الشعبية، الأولى منها: تتصل بدراسة السيرة بوصفها مصدرًا للتاريخ الاجتماعي، والثانية: تدور حول الشخصيات التاريخية في السيرة نفسها. نحن إذً بإزاء تاريخ مملوكي موثق وآخر شفاهي، الأول: ينقصه الاكتمال والتبرير والقراءة الوجدانية، والثاني: يستكمل ويعدل ويطور ويبرر[101]. وتلتحم الدراسة الخاصة بالسلطانة المملوكية «شجر الدر» التاريخية[102] على النحو الذى تبدو به في الوعي الشعبي، مع سيرة الظاهر بيبرس.

وأتى قريبًا من هذه المعالجة دراسة أخيرة في حقل الدراسات الشعبية المملوكية عن الرؤية الشعبية للحروب الصليبية، كما وردت في ثلاث ليالٍ من ليالي ألف وليلة[103].

الجيل الرابع وغياب الفرضيات والجدليات

فتح قاسم عبده قاسم بدراساته بابًا كان موصدًا يخفي وراءه كنوزًا معرفية رائعة في تاريخ الدراسات الشعبية المملوكية عن طريق استخدام الأعمال الأدبية ونصوص التراث الشعبي المدون كمصدر للتاريخ؛ مثل دراسات عمرو منير عن الأساطير[104] والحكايات[105] والسير الشعبية[106]. العربية، وكتب الحكايات[107] والحيل[108] والألعاب السحرية والأحلام، والتي تشكل أبرز المظاهر الكاشفة عن ذهنية العوام وتجاربهم اليومية ومعاناتهم الجماعية[109]، وكانت بمثابة شاهد على ذهنية المجتمع، وفي سيرتي فتوح مصر المحروسة ، وفتوح البهنسا[110] انشغل بصورة البطل الأسطوري في المخيال الإسلامي.

وفي مجال الاهتمام بتيار الدراسات الشعبية للمجتمع المملوكي في مصر وبلاد الشام درست محاسن الوقاد الطبقات الدنيا [111]، وكذلك الألقاب والكنى الشعبية الساخرة[112]،وعلاء طه رزق: عامة القاهر في عصر سلاطين المماليك[113]، وتلمست سماح السلاوي طريقها في حقل الدراسات الشعبية المملوكية بدراسة التدوينات الشعبية[114]، وكذلك محمد فوزي رحيل[115]، وعلى النهج ذاته انشغلت سماح السلاوي بالتمثلات الذهنية في الأدب الشعبي[116]، وكتبت عن «الهوية الدينية في الأدب الشعبي[117]، وإن شاب منهجهما قصورًا حادًا[118]. وحاول

98 قاسم عبده: نهر النيل ، 57 – 67.

99 قاسم عبده: نهر النيل في الأساطير العربية 67.

100 قاسم عبده: الشخصيات التاريخية في سيرة الظاهر بيبرس ، مجلة الفنون الشعبية ع18 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1987 ، ص 21 – 35 ؛ نشرت ضمن كتاب بين التاريخ والفولكلور ، ص 123 – 144؛ أعيد نشرها بعنوان «السيرة الشعبية مصدرًا لدراسة التاريخ الاجتماعي قراءة في سيرة الظاهر بيبرس ضمن كتاب بين الأدب والتاريخ ، دار عين ، القاهرة 2007 م ، 165 – 178؛ التتار والعالم العربي: الوجه الآخر، قازان – تتارستان، 2006م.

101 التف الشعب المصري الصانع الحقيقي للتاريخ حول بيبرس منذ شبابه الأول، وتنوعت الشخصيات التي لعبت دورا في سيرته الشعبية ومن أهمها الصوفية الكبار ممثلين في السيد البدوي وإبراهيم الدسوقي ، ثم طوائف من أصحاب الحرف المختلفة التي عرفها المصريون وهى الطوائف التي لعبت الدور الرئيسي في هذه السيرة التي تبدا بما يسمى بالإيهام بالوثائقية التاريخية بمصادرها المختلفة للحصول على التأثير المطلوب على المتلقين.

102 قاسم عبده: شجر الدر بين السيرة الشعبية والتاريخ ، المؤتمر الخامس والثلاثون للمستشرقين ، بودابست ، المجر 1998م؛ السلطانة شجر الدر بين التاريخ والسيرة الشعبية : دراسة في القراءة الشعبية للتاريخ ، مجلة أدب ونقد ، ع 147 ، القاهرة 1997م ص 41 – 62؛ السلطانة شجر الدر بين التاريخ والسيرة الشعبية دراسة في القراءة الشعبية للتاريخ ، ص 145 – 178.

103 قاسم عبده: الحروب الصليبية في ألف ليلة وليلة دراسة في تأثير الحروب الصليبية على الوجدان الشعبي ، مجلة القاهرة ، ع23 ، ع 24، 1985 ، ص 4 – 17.

104 دراسته في الدكتوراة عن الأساطير المتعلقة بمصر في كتابات المؤرخين المسلمين، كأول دراسة علمية عن أبعاد العلاقة بين الأسطورة والتاريخ يتم تسجيلها بعد معارضة شديدة، ثم دراسته بعنوان «مصر والنيل بين التاريخ والفولكلور، ودراسته «الأساطير المتعلقة بالقدس في كتابات الرحالة والمؤرخين المسلمين» ودراسته «مصر والعمران في كتابات الرحالة والموروث الشعبي خلال القرنين السادس والسابع الهجريين»(سلسلة الجوائز ، دار السويدي للنشر والتوزيع ، أبو ظبي 2011م)؛ عمرو منير: مصر والنيل بين التاريخ والفولكلور، سلسلة الدراسات الشعبية ، القاهرة 2009 م؛ عمرو منير : والأساطير المتعلقة بالقدس في كتابات الرحالة والمؤرخين المسلمين: منذ الفتح الإسلامي حتى العهد العثماني ، دورية كان التاريخية ، س9، ع31، 211ـ 271.

105 الفاشوش في أحكام وحكايات قراقوش للأسعد بن مماتي ، تحقيق عمرو منير (دار عين للدراسات، القاهرة 2016م)، الطبعة الثانية سلسلة التراث الحضاري الهيئة المصريةالعامة للكتاب، القاهرة 2021م).

106 عمرو منير : السير الشعبية العربية مصدراً لقراءة تاريخ الفتح الإسلامي لمصر: قراءة في كتاب فتوح مصر المحروسة على يد سيدي عمرو بن العاص رضي الله عنه، مؤتمر التأريخ العربي وتاريخ العرب: كيف كُتب وكيف يكُتب – الاجابات الممكنة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر 2016م، ص 839 – 865.

107 تحقيق أهم الكتب المتعلقة بالدراسات الشعبية المملوكية مثل : كتاب طيف الخيال لابن دانيال الموصلي، وعدد من السير والحكايات الشعبية العربية التي راجت في المجتمع العربي طوال عصري الأيوبيين والمماليك ككتاب فتوح مصر المحروسة على يد سيدي عمرو بن العاص رضي الله عنه

108 وكتاب أهل الحيل والألعاب السحرية في مصر والشام عصري الأيوبيين والمماليك مع تحقيق كتاب الباهر في النارنجيات(مطبوعات المطابع الأميرية ، القاهرة 2019م).

109 أحمد المحمودي : عامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي ، ط1 ، رؤية للنشر ، القاهرة 2009 ، ص 133 بتصرف .

110 فتوح مصر المحروسة على يد سيدي عمرو بن العاص ، دراسة وتحقيق ، سلسلة الجوائز ، هيئة قصور الثقافة ، القاهرة 2016م؛ فتوح البهنسا الغراء على أيدي الصحابة والشهداء، دراسة وتحقيق ، هيئة قصور الثقافة بالقاهرة سلسلة الجوائز 2012م.

111 محاسن محمد الوقاد: الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية من تاريخ المصريين ع 152، الهيئة المصرية، القاهرة،1999.

112 محاسن محمد علي حسين الوقاد: الألقاب والكنى الشعبية الساخرة عصر سلاطين المماليك، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، كلية الآداب، جامعة عين شمس، مج28، ع2، 2002م، ص151-107

113 دار عين للدراسات ، القاهرة 2003م.

114 سماح عبد المنعم السلاوي: التدوينات الشعبية مصدراً للثورة والاحتجاج في مصر المملوكية، حولية سيمنار التاريخ الإسلامي والوسيط، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ع3، 2013م، ص280-243.

115 محمد فوزي: بين التاريخ والفلكلور : صلاح الدين الأيوبي في السيرة الظاهرية، مجلة مركز الخدمة للاستشارات البحثية، العدد 40 ، المنوفية 2010م.

116 سماح السلاوي : سيرة السلطان الأيوبي الصالح نجم الدين أيوب في المصادر التاريخية والأدب الشعبي، دورية كان التاريخية ، س13 ، ع49 ، القاهرة 2020م.

117 سماح السلاوي : الهوية الدينية في الأدب الشعبي: سيرة الظاهر بيبرس نموذجاً، دورية كان التاريخية ، س12 ، ع43 ، القاهرة 2019م، ص 206 – 224.

118 محمد فوزي : بين التاريخ والفلكلور ، ص 290؛ سماح السلاوي : سيرة السلطان الأيوبي، ص 211.

طلال حرب في دراسته عن «بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك»[119]، الاستفادة من المناهج الحديثة اللسانية، والبنيوية، والدلالية، محاولا الابتعاد عن النقد التقويمي أو الإيديولوجي[120].

الخاتمة

أخيرًا، لقد تتبعنا تاريخ ومسارات وتحولات الدراسات الشعبية «المملوكية»؛ ومن الملاحظ، أن بدء الاهتمام بها يرجع إلى المستشرقين، خاصة الفرنسيين؛ إذ دونوا ملاحظاتهم الدقيقة عن الطبيعة، المشكلة لغالب الطبقات الشعبية في ذلك الوقت، وهذا ما يتفق مع الفكر الاستشراقي، الذى يسعى إلى كسب المزيد من المعلومات «الحياتية» لتلك الطبقات، وسارت في نفس المسار، الحوليات التاريخية على استحياء، فوجدنا الجبرتي، يرصد لمحات مهمة عن هذه الطبقات، ولكن، يجب الإشارة إلى ملمح خطير، وهو أن هذا الاستشراق، المتتالي، قد أخذ ما أسماه إدوارد سعيد بالصورة النمطية، التي باتت تتكرر في المدونات المختلفة، بصورة تكاد تكون منقولة حرفياً، لذا، كانت الظروف السياسية، التي تعرضت لها الأفكار المجتمعية، كانت بمثابة انذراً للتراث الشعبي، في أن يعيد النظر في مكونه الثقافي، كي يكون قادراً على مواجهة «التحديات الأجنبية»، ومظاهرها، التي تغلغلت داخل البنية المجتمعية، ويمكن ان نخرج عن هذا الطرح بطرح نموذج عبد الله النديم، النموذج المصري المحافظ، الذي جاهد في الحفاظ على الموروث الشعبي أمام الحضارة الإنجليزية «العاتية»، ثم التحول الطارئ على طبيعة النظرة إلى الأدب الشعبي منذ ثلاثينيات القرن العشرين مثل فؤاد حسنين علي ، وسهير القلماوي وعبد الحميد يونس وغيرهم واتجاه بعض هذه الدراسات الشعبية[121] إلى الاهتمام بسرديات العصر المملوكي والبحث عن أسئلة التأصيل، وتماشياً مع هذا الطرح، ما إن استقرت الأجواء السياسية في سبعينيات القرن العشرين، حتى أخذ مسار الدراسات الشعبية المملوكية دفعة قوية للأمام، على يد محمد رجب النجار من باب الدرس الفولكلوري والانتباه إلى ضرورة الاستفادة من منجزات النظريات النقدية الغربية في تلقيه التأصيلي لإيجاد نظرية أنواع أدبية خاصة بالسرديات العربية المملوكية وفي التلقي البنيوي والتأويلي، تزامنًا مع جهود قاسم عبده قاسم من باب الدرس التاريخي لإنتاج وعي معرفي بالدراسات الشعبية المملوكية ، وليس في تجميع المعلومات التاريخية بحدّ ذاتها، ومن حسن الطالع، أن يظل قاسم عبده على مدار قرابة ثلاثة عقود أو يزيد قليلا، يحتل هذه الصدارة، تاركاً ورائه من يخطى خطاه ، وإن لم يشكلوا مدرسة قادرة على إنتاج تصوّر كلّي أو صياغة آفاق جديدة بحيوية التجديد ، فلا يمكن قراءة ما أنتجوه سوى في إطار أنه مخرجات اتجاه في لحظة زمنية لها مكوناتها الخاصة[122]، لم تُطور ولم يُبن عليها. وظل بعد ذلك أي تطور في القراءة التاريخية الشعبية المملوكية مجرد اتجاه، لكن، على الرغم من أي قصور منهجي اعترى تلك الكتابات، خصوصًا، أنها قامت على الاجتهاد الشخصي في استخدام المنهج وأدواته، فإنها فتحت آفاقًا جديدة، وقدمت إضافة معرفية، وخرجت بعملية التأريخ في حقل الدراسات الشعبية المملوكية من حصار الكلاسيكيات.

وفي تقديري، لقد ساهمت هذه المحاولات الجادّة في تقديم جدليات، وأطروحات في مسار الدراسات الشعبية المملوكية، كانت تعبيراً عن التطور، الذي آلت إليه الدراسات، وبدأت تكون أكثر تحررًا من نمط الكتابة التقليدية، وفى النهاية، باتت تشكّل تجربة على المسار الصحيح، بالنسبة لطرح الجدليات، والإشكاليات، وزيادة الوعي المعرفي في حقل الدراسات الشعبية المملوكية، الآخذة في التطور، وفي نهاية المطاف نحسب أن الحديث عن الدراسات الشعبية المملوكية بحاجة إلى جهود نقدية متميزة تضئ دروبًا لا تزال معتمة في منطقة الحدود بين التاريخ والموروث الشعبي .

119 طلال حرب: بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1999م.

120 فوزية الصفار : جمالية السيرة الشعبية العربية مقوماتها وخصائصها ودلالاتها ، الدار التونسية للكتاب، تونس 2016 ، ص33.

121 ضياء الكعبي : السرد العربي ، ص 526.

122 نجلاء سعيد مكاوي : تحولات الكتابة التاريخية، ص556. بتصرف.

قائمة المصادر والمراجع

1-إبراهيم حمادة : خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال، المؤسسة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1961م .

2-أحمد رشدي صالح : فنون الأدب الشعبي ، مكتبة الأسرة 1997.

3-تطور الفلكلور العربي في مصر، مجلة الطليعة، مؤسسة الأهرام، 1967.

4-تطور الفولكلور في مصر ، مجلة الطليعة س3 ، ع 11 ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة 1967.

5-أحمد المحمودي : عامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي ، ط1 ، رؤية للنشر ، القاهرة، 2009.

6-أحمد زكريا الشلق: من الحوليات إلى التاريخ العلمي، نهضة الكتابة التاريخية في مصر، سلسلة مصر النهضة 84، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، 2011.

7-من الحوليات إلى التاريخ العلمي: نهضة الكتابة التاريخية في مصر، سلسلة مصر النهضة 84، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، 2011 .

8-أغناطيوس كراتشكوفسكي: حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوي ، ترجمة كلثوم نصر ، سلسلة ميراث الترجمة ، ع1772، المركز القومي للترجمة ، القاهرة 2012.

9-ثناء أنس الوجود: عن القراءة الشعبية للنصوص، ضمن كتاب قاسم عبده قاسم بين التاريخ والأدب الشعبي، تحرير: عمرو منير ، القاهرة 2013.

10-جمال الدين الأفغاني : الآثار الكاملة ، المجلدان 4 ، 5 ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة 2002.

11-جمال الدين الشيال ، رفاعة الطهطاوي زعيم النهضة الفكرية في عصر محمد علي ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة 2017.

12-الجوبري، عبد الرحيم بن عمر (ق7هـ): المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار، تحقيق: منذر الحايك، دار صفحات، دمشق 2014م.

13-حسين مظلوم ، مصطفى الفحام : تاريخ أدب الشعب ، نشأته ، تطوره ، أعلامه ، مطبعة السعادة ، القاهرة 1936.

14-خالد أبو الليل : الأدب الشعبي في مصر : دراساته ومؤسساته في الفترة (1952 ـ 2011)، مجلة الثقافة الشعبية، ع 48، م13 ، البحرين 2012.

15-الأدب الشعبي في مصر، دراساته ومؤسساته فى الفترة من(2591-1102م)، مجلة الثقافة الشعبية، المنامة 5102.

16-المستشرقون ودراسة المأثورات العربية في القرن التاسع عشر ، مجلة الفنون الشعبية ، الهيئة المصرية ، ع90 ، 2012.

18-النخبة والعامة الموقف من الأدب الشعبي في العصر الحديث، هيئة الكتاب ، القاهرة 2020.

19-رأفت الشيخ : مناهج بعض المؤرخين المسلمين : ابن خلدون – أحمد بن ماجد – عبد الرحمن الجبرتي (المؤتمر العلمي الدولي الثاني ، جامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية بالزقازيق ، 2010.

20-رفاعة الطهطاوي : مقدمة ترجمته لكتاب مواقع الأفلاك في وقائع تليماك، تقديم صلاح فضل ، دار الكتب ، القاهرة 2002.

21-سعد الخادم : الصناعات الشعبية في مصر ، دار المعارف ، القاهر 7591.

22-السلطانة شجر الدر بين التاريخ والسيرة الشعبية : دراسة في القراءة الشعبية للتاريخ ، مجلة أدب ونقد ، ع 147 ، القاهرة 1997.

23-سماح عبد المنعم السلاوي : الهوية الدينية في الأدب الشعبي: سيرة الظاهر بيبرس نموذجاً، دورية كان التاريخية ، س12 ، ع43 ، القاهرة 2019.

24-سيرة السلطان الأيوبي الصالح نجم الدين أيوب في المصادر التاريخية والأدب الشعبي، دورية كان التاريخية ، س13 ، ع49 ، القاهرة 2020.

25-التدوينات الشعبية مصدراً للثورة والاحتجاج في مصر المملوكية، حولية سيمنار التاريخ الإسلامي والوسيط، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ع3، 2013.

26-سهير القلماوي : ألف ليلة وليلة ، دار المعارف، القاهرة 1959 .

27-شريف عبد الباسط : التدين وتاريخ الذهنيات في جزائر القرن التاسع عشر، دراسات مؤمنون بلا حدود، إبريل 2014 .

28-ضياء الكعبي : السرد العربي القديم الأنساق الثقافية وإشكالية التأويل ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 2005 .

29-جدلية الشعبي والنخبوي في الثقافة العربية ، مجلة الثقافة الشعبية ، البحرين ، السنة السادسة ، ع 23 ، البحرين 2013.

30-طلال حرب: بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك ،المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1999.

31-عبد الحميد يونس : الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي ، سلسلة الدراسات الشعبية ، القاهرة 2005.

32-مصريات في الفكر والسياسة، القاهرة، سينا للنشر، 1993.

33-عبد الله إبراهيم : السردية العربية ، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1992.

34-عبد الله النديم : التنكيت والتبكيت ، دراسة عبد المنعم الجميعي ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة 1994.

35-عبد المنعم إبراهيم الجميعي : اتجاهات الكتابة التاريخية في تاريخ مصر الحديث والمعاصر القرنين التاسع عشر والعشرين ، عين للدراسات ، القاهرة 1994.

36-على مبارك : علم الدين ، ج1 ، 2 تقديم : سمير سرحان ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة 1993.

37-عمار محمد: الدراسات النظرية الجديدة في عصر دولة المماليك البحرية 784-648هـ/1250-1382هـ-م، مجلة الدارسات التاريخية، جامعة دمشق، 2013.

38-عمرو عبد العزيز منير : الأساطير المتعلقة بالقدس في كتابات الرحالة والمؤرخين المسلمين: منذ الفتح الإسلامي حتى العهد العثماني ، دورية كان التاريخية ، س9، ع31 ، 2017.

39-الأساطير المتعلقة بمصر في كتابات المؤرخين المسلمين، دار عين للدراسات والبحوث الاجتماعية الطبعة الأولى (2008م) ؛ الطبعة الثانية ضمن إصدارات مكتبة الأسرة بالقاهرة 2012.

40-السير الشعبية العربية مصدراً لقراءة تاريخ الفتح الإسلامي لمصر: قراءة في كتاب فتوح مصر المحروسة على يد سيدي عمرو بن العاص رضي الله عنه، مؤتمر التأريخ العربي وتاريخ العرب: كيف كُتب وكيف يكُتب - الاجابات الممكنة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر 2016.

41-الفاشوش في أحكام وحكايات قراقوش للأسعد بن مماتي دار عين للدراسات، القاهرة 2016م، الطبعة الثانية سلسلة التراث الحضاري الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2021.

42-مصر والنيل بين التاريخ والفولكلور، الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة الدراسات الشعبية، العدد 126, القاهرة 2009.

43-القدس في الأساطير العربية ، مكتبة النافذة , القاهرة 2009.

44-مصر والنيل بين التاريخ والفولكلور، سلسلة الدراسات الشعبية ، القاهرة 2009 .

45-أهل الحيل والألعاب السحرية في مصر والشام عصري الأيوبيين والمماليك مع تحقيق كتاب الباهر في النارنجيات، مطبوعات المطابع الأميرية ، القاهرة 2019.

46-فتوح البهنسا الغراء على أيدي الصحابة والشهداء، دراسة وتحقيق ، هيئة قصور الثقافة بالقاهرة سلسلة الجوائز 2012.

47-فتوح مصر المحروسة على يد سيدي عمرو بن العاص، دراسة وتحقيق ، سلسلة الجوائز ، هيئة قصور الثقافة ، القاهرة 2016.

48-مصر والعمران في كتابات الرحالة والموروث الشعبي خلال القرنين السادس والسابع الهجريين ،سلسلة الجوائز ، دار السويدي للنشر والتوزيع ، أبو ظبي 2011.

49-فوزية الصفار : جمالية السيرة الشعبية العربية مقوماتها وخصائصها ودلالاتها ، الدار التونسية للكتاب، تونس 2016 .

50-قاسم عبده قاسم : ، أحمد الهواري : الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، دار المعارف ، القاهرة 1979.

51-الأدب الشعبي وسيلة للتعرف على الحياة الفكرية للشعوب ، مجلة الفنون الشعبية ، ع 24، القاهرة 1988.

52-السيرة الشعبية مصدرا لدراسة التاريخ الاجتماعي- مجلة فكر للدراسات والأبحاث، العدد التاسع، باريس 1986.

53-التتار والعالم العربي: الوجه الآخر، قازان – تتارستان، 2006.

54-السيرة الشعبية مصدرًا لدراسة التاريخ الاجتماعي قراءة في سيرة الظاهر بيبرس ضمن كتاب بين الأدب والتاريخ ، دار عين ، القاهرة 2007.

55-القراءة الأسطورية للتاريخ مجلة الفنون الشعبية ، ع 56 – 57 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1997.

56-الموروث الشعبي والدراسات التاريخية خطط المقريزي : دراسة تطبيقية ضمن كتاب «بين التاريخ والفولكلور ، دار عين ، القاهرة 2001.

57-بين الأدب والتاريخ ، عين للدراسات ، القاهرة 2007.
58-بين التاريخ والفولكلور ، عين للدراسات ، القاهرة 2001.
59-أسواق القاهرة في عصر سلاطين المماليك ، مكتبة رأفت ، القاهرة 1976.
60-الموروث الشعبي والدراسات التاريخية» بحث مقدم إلى ندوة الفلكلور والمستقبل المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب- ديسمبر 1994.
61-قراءة التاريخ تطور الفكر والمنهج ، عين للدراسات ، القاهرة 2009.
62-نهر النيل في الأساطير العربية ، مجلة الفنون الشعبية ، ع21، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1987.
63-القراءة الاسطورية للتاريخ، مجلة الثقافة الشعبية، جامعة المنصورة، 1998.
64-مقدمة كتاب مصر في الأساطير العربية ، عين للدراسات ، القاهرة 2009.
65-الحروب الصليبية في ألف ليلة وليلة دراسة في تأثير الحروب الصليبية على الوجدان الشعبي ، مجلة القاهرة ، ع23 ، و24، 1985.
66-الرواية التاريخية عند محمد فريد ابو حديد : رواية ابنة المملوك : قراءة في العلاقة بين الأدب والتاريخ ، مجلة أدب ونقد ، ع 144، القاهرة 1997.
65-الشخصيات التاريخية في سيرة الظاهر بيبرس ، مجلة الفنون الشعبية ع18 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1987.
66-بين التاريخ والفولكلور ، مجلة الفنون الشعبية ، ع 40 ، 41 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1993.
67-شجر الدر بين السيرة الشعبية والتاريخ ، المؤتمر الخامس والثلاثون للمستشرقين ، بودابست ، المجر 1998.
68-واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني نهاية المماليك بين التاريخ والحكي الشعبي ، عين للدراسات ، القاهرة 2014م.
69-الحياة اليومية في مصر عصر سلاطين المماليك عين للدراسات ، القاهرة 2019.
70-مارينا وورنر: السحر الأغرب مشاهد فاتنة من وحي ألف ليلة وليلة، ترجمة: عبلة عودة، أبو ظبي، مشروع كلمة 2016.
71-محاسن محمد حسين الوقاد: الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية من تاريخ المصريين ع 152، الهيئة المصرية، القاهرة،1999.
72-الألقاب والكنى الشعبية الساخرة عصر سلاطين المماليك، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، كلية الآداب، جامعة عين شمس، مج28، ع2، 2002.
73-محمد الجوهري مقدمة قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1999.
74-محمد الخضري (١٨٧٢ - ١٩٢٧ م) باحث، خطيب، من العلماء بالشريعة والأدب وتاريخ الإسلام، من الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس: الأعلام ، ط15 ، دار العلم للملايين ، بيروت 2002.
75-محمد رجب النجار : التراث القصصي في الأدب العربي مقاربات سوسيوسردية ، ط 1 ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت 1995م .
76-البطل في الملاحم الشعبية العربية قضاياه وملامحه الفنية ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 2018.
77-الشعر الشعبي الساخر في عصور المماليك ، مجلة عالم الفكر ، العدد الثالث ، المجلد الثالث عشر ، الكويت 1982.
78-الشعر الشعبي الساخر في عصور المماليك، مجلة الفنون الشعبية ع 71 ، القاهرة 2006.
79-حكايات الشطار والعيارين ، هيئة قصور الثقافة ، القاهرة 2002.
80-محمد عبد القادر خريسات: الرواية الشفهية في الكتابة التاريخية، مركز عيسى الثقافي، مركز الوثائق التاريخية، 1999.
81-محمد عبده : الأعمال الكاملة في الكتابات الاجتماعية ، تحقيق محمد عمارة ، الهيئة المصرية العامة ، مكتبة الأسرة القاهرة 2009 .
82-محمد فوزي: بين التاريخ والفلكلور : صلاح الدين الأيوبي في السيرة الظاهرية، مجلة مركز الخدمة للاستشارات البحثية، العدد 40 ، المنوفية 2010.
83-محمد قنديل البقلي: دراسات حول ابن سودون وأدبه الشعبي، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج27، 1971.
84-ناصر إبراهيم : أزمة الكتابة التاريخية في فكر جيل الستينيات قراءة مكثفة في كتابات رءوف عباس ، مجلة أسطور ، العدد 15 ، الدوحة يناير 2022.
85-البعد النقدي في الكتابة التاريخية عند جيل الستينيات

رؤوف عباس ومنطلقاته الفكرية نموذجًا، المؤتمر السنوي الخامس عشر للجمعية المصرية للدراسات التاريخية 28 ـ 29 إبريل 2015.

86-نجلاء سعيد مكاوي : تحولات الكتابة التاريخية في مصر المعاصرة : الاتجاه والنظرية والمنهج والدور ، ضمن أعمال مؤتمر التأريخ العربي وتاريخ العرب ، بيروت ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات ، 2016.

87-تحولات الكتابة التاريخية في مصر المعاصرة : الاتجاه والنظرية والمنهج والدور ، ضمن أعمال مؤتمر التأريخ العربي وتاريخ العرب : كيف كتب وكيف يكتب الإجابات الممكنة ، بيروت ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات ، 2016.

88-هشام فوزي حسن: المستشرق ليو آريه والدراسات العربية الإسلامية ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، الحولية 30 ، الرسالة 311، الكويت 2010.

89-وجيه كوثراني : إشكالية المنهج في الكتابة التاريخية العربية المعاصرة ، ورقة مقدمة لندوة إشكالية المنهج في العلوم الاجتماعية ، جامعة البحرين 9 ـ 11 إبريل 1994.

90-الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: مجموعة محققين، إشراف: محمد حجي، الرباط، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، 1981.

Foreign reference and sources:

1-Abou-Ghazi, Emad. Mamluk Studies in the Arab World، Leiden، E.J.Brill2021 ، .

2-E. J. Hobsbawm, "From Social History to the History of Society, 'Daedalus: Historical Studies Today, Vol. 100, no. 1 (Winter 1971).

3-L.A. MAYER Mamluk Playing Cards، Leiden , E.J.Brill1971 ، .